ما بعد 11 سبتمبر: معركة الأفكار في الحرب ضد 'الإرهاب'!

21-9-2005

يتحدث سوتلوف عن ستة أخطاء:الخطأ الأول: جهل الولايات المتحدة بأعدائها وأصدقائها. ويؤكد على ضرورة تحديدها لهم، إذ لا يمكن أن تنتصر في معاركها بدون القيام بذلك. فهناك حكومات وحركات عربية متشددة وأخرى معتدلة أو علمانية، يرى أن على الولايات المتحدة أن تفرق بينها. الخطأ الثاني: تقديم الولايات المتحدة قروضا ومساعدات إلى أشخاص وهيئات غير مرغوب فيها. فإعطاؤها منحا مالية لحكومات استبدادية وأفراد سيئي السمعة كما وصفهم الكاتب يولد عدم ثقة الشارع العربي بالدبلوماسية الأمريكية. الخطأ الثالث: اهتمام الولايات المتحدة بالدعاية

بقلم **طارق ديلواني**

يعد روبرت سوتلوف واحدا من أخطر المفكرين والباحثين وواضعي السياسية الأمريكية الخارجية، ومن هنا جاءت أهمية وخطورة كتابه الأخير الذي يأتي عشية ذكرى هجمات الحادي عشر من سبتمبر ليطلعنا نحن العرب والمسلمين على آلية وطبيعة تفكير الغرب عموما والولايات المتحدة خصوصا تجاهنا.

مؤلف كتاب "معركة الأفكار في الحرب ضد الإرهاب" روبرت ستلوف مدير عام معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى. عاش في المغرب لمدة عامين، وخلال هاتين السنتين تجول في منطقة الشرق الأوسط وكتب العديد من الدراسات حول كيفية إصلاح الدبلوماسية العامة الأمريكية مع العرب والمسلمين في مواجهة تحديات عالم ما بعد 11 سبتمبر (أيلول).

كتب ستلوف العديد من الكتب والمقالات حول الصراع العربي الإسرائيلي، منها Arab-Israeli peace process Arab and Islamic Politics and U.S. Middle East policy. كما أن لديه مقالات وأراء نشرت في كبرى الصحف الأمريكية مع مقابلات إذاعية وتلفزيونية للعديد من وسائل الإعلام في داخل الولايات المتحدة وخارجها.

وخطورة الرجل تكمن في خطورة تفكيره كأحد أهم واضعي سياسة الولايات المتحدة الخارجية، فهو في كتابه المثير يتحدث عن أربعة محاور: الدبلوماسية العامة وإستراتيجيتها، وأخطاء الولايات المتحدة في التعامل مع منطقتنا، بالإضافة إلى ما هو صحيح وأخيرا الأسلوب الجديد للتعامل.

* أمريكا حامية حمى المسلمين !!

من الخطورة بمكان أن يصور سوتلوف وأمثاله لنا الولايات المتحدة وكأنها حامية حمى العرب والمسلمين، فهو يتحدث في كتابه عن أهمية شرح الولايات المتحدة لسياساتها بوضوح وبدون أية اعتذارات، فيقول إن على أمريكا أن تفخر بقوتها العسكرية التي استطاعت بها أن تدافع عن المسلمين في البوسنة، وكوسوفو، والكويت، وكذلك بتقديمها مساعدات مالية لأكبر دولة عربية "مصر". علاوة على علاقتها الإستراتيجية بحكومات الدول الإسلامية مثل نيجيريا، تركيا واندونيسيا. ويضيف الكاتب أن الولايات المتحدة لا يجب أن تخجل من دعمها المطلق لإسرائيل.

ويشير سوتلوف إلى نظرية جديدة في حرب الأفكار خاصته، وهي أن على الولايات المتحدة أن تطور من مؤسساتها الإعلامية تجاه قضايا المنطقة بدلا من أن تنافس الإعلام العربي "الحرة كمثال" أو أن تخترق الإعلام العربي، وإن هذا التطور واجب على عاتق المختصين العلامين في مجال الإعلام من أجل توفير خدمات معلوماتية صادقة ومتزنة للمعنيين.

لازال "الحلم الأمريكي"، كما يسمونه حاضرا في خيال سوتلوف وغيره كما يبدو كأحد أهم وسائل حرب الأفكار ضد الإرهاب، فهو يرى سهولة تحليل المجتمع الأمريكي للآخر. ويؤكد أن المهم هو كشف مقومات الحياة للمواطن الأمريكي العادي وطريقة تفكيره. وذلك لكي يسهل للأطرف الأخرى معرفته والاقتناع به ومن ثم الهوس به.

ويرى الكاتب أن على الحكومة الأمريكية أن ترسم خطة رصينة للدبلوماسية العامة تجاه الشرق ألأوسط عن طريق وسائل الإعلام، كما أن عليها كذلك فتح دورات اللغة للسفراء والدبلوماسيين والمسؤولين في وزارة الخارجية والجهات الأخرى التي تتعامل من المنطقة العربية.

* أخطاء الدبلوماسية الأمريكية!

يتحدث سوتلوف عن ستة أخطاء :

الخطأ الأول: جهل الولايات المتحدة بأعدائها وأصدقائها. ويؤكد على ضرورة تحديدها لهم، إذ لا يمكن أن تنتصر في معاركها بدون القيام بذلك. فهناك حكومات وحركات عربية متشددة وأخرى معتدلة أو علمانية، يرى أن على الولايات المتحدة أن تفرق بينها.

الخطأ الثاني: تقديم الولايات المتحدة قروضا ومساعدات إلى أشخاص وهيئات غير مرغوب فيها. فإعطاؤها منحا مالية لحكومات استبدادية وأفراد سيئي السمعة كما وصفهم الكاتب يولد عدم ثقة الشارع العربي بالدبلوماسية الأمريكية.

الخطأ الثالث: اهتمام الولايات المتحدة بالدعاية إلى الانفتاح والتسامح الديني، وتقليلها من الترويج لسياستها العامة، مما يولد نوعا من الفراغ ونقص المعلومات السياسية التي كان من الممكن الاستفادة منها إذا نالت حظا أوفر من الاهتمام.

الخطأ الرابع: خسارة الولايات المتحدة لمعركة كسب عقول الشباب في الشرق الأوسط بسبب جهلها بأساليب المعركة الصحيحة، وعدم بذلها جهدا لمعرفة الأسباب الذي بوسعها التغلب على هذا النقص.

الخطأ الخامس: عدم اعتراف الولايات المتحدة بالأسباب الرئيسية لكراهية ملايين المسلمين والعرب لها. وهذه الأسباب كما يرى الكاتب هي دعمها المطلق لإسرائيل ومساندتها، بالإضافة إلى سياستها المتبعة في العراق وحربها الحالية ضد الإرهاب. ويقول الكاتب إن الولايات المتحدة تخدع نفسها بفكرة أن كراهية العرب لهم نابع من الاختلافات الثقافية، والاجتماعية والدينية.

الخطأ السادس: إجابتها الخاطئة في ردها على وسائل الإعلام العربية مثل قناة "الجزيرة". فيرى الكاتب أن الولايات المتحدة أخطأت في رصدها ملايين الدولارات بغرض إنشاء مؤسسات إعلامية ناطقة باللغة العربية (مثل قناة الحرة وراديو سوا) بلا أهداف معلنة. مما أدى إلى فشل هذا النوع المشاريع في تحسين صورتها أمام المواطن العربي.

* الحلول كما يراها ساتلوف !

يعرض الكاتب في هذا المحور العوامل الصحيحة للدبلوماسية العامة التي تعزز العلاقات بين الدول العربية و الولايات المتحدة، والتي يرى أن من أهمها:

• إبقاء الأبواب مفتوحة مع العالم العربي والإسلامي حتى بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر(أيلول). والاستفادة من تبادل المعلومات بين الجانبين.

• نشر المدارس الأمريكية في المنطقة حيث تلعب هذه المدارس دورا هاما في تعليم اللغة والقواعد الإنكليزية الأمريكية. وكذلك في تأهيل الطلاب للدراسة بالمدارس والجامعات الأمريكية ، وإتاحة الفرصة أمام الراغبين في الالتحاق بالدراسات العليا في الولايات المتحدة والانخراط في مجتمعها.

• إصرار السياسيين الأمريكيين على مواصلة نهجهم السياسي والدبلوماسية، وتوسيع علاقاتهم الإستراتيجية والعامة مع الدول العربية والإسلامية.

ولعلنا نلحظ تشديد ساتلوف على أهمية العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة والمنطقة حتى تخدم أهداف بلاده وتحافظ على مصالحها في المنطقة وهو هنا يرى ضرورة تغلغل الولايات المتحدة أيضا في النسيج الشعبي الاجتماعي العربي من خلال وسائل عدة أهمها:

• تشجيع الطلاب العرب في كافة المراحل الدراسية ومن جميع الأعمار على معرفة الولايات المتحدة، وتمهيد الطريق لبناء جيل مثقف مبني على أسس العلم والمعرفة في المنطقة.

• إعادة رسم الخطوط السياسية مع دول العالم. فيقول الكاتب إن على الولايات المتحدة القيام بمهامها تجاه جميع دول العالم والدول العربية بشكل خاص.

من تلك المهام توفير الكتب والمناهج الدراسية مع المساهمة في تدريس اللغة والقواعد الإنكليزية على الطريقة الأمريكية، وتشجيع دور المرأة في المجتمع وتسهيل انخراطها في مؤسساته الخاصة منها والعامة.

ويشدد الكاتب على ضرورة حث المجتمعات العربية على السماح بتعليم البنات وإتاحة الفرص لانخراطهم في المجتمع، لا عن مساندة منظمات المجتمع المدني. لأنها المعبر التي سيمكن الأمريكيين من الاختلاط بالمجتمع العربي، إضافة إلى إنشاء مؤسسات تكون مهمتها الرقابة على المشروعات التي تمولها من أجل ضمان نزاهتها. وذلك لضمان حقوق الأفراد والجماعات التي من شأنها الاستفادة من هذه المشاريع.

يعتقد ساتلوف في النهاية أن معركة الأفكار هي الأهم، وفي إطار ذلك يرى أن الأهم هو معرفة الأسباب التي أدت إلى وقوع هجمات الحادي عشر من سبتمبر أيلول، والتخلي عن سياسة تجنب مخاطبة الشعوب العربية مباشرة بخصوص عدد من القضايا الصعبة مثل التطرف الديني والإرهاب، علاوة على الصراع العربي الإسرائيلي وحربها مع العراق.